

منبر المحراب

الولد سرّ أبيه

(نظرة فلي وصية الإمام علي عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام)

السنة السادسة عشرة

العدد ٩٠٠ - ١٣ / رمضان / ١٤٣١ هـ

الموافق ٢٤ / آب / ٢٠١٠ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- موعظة الآخر بوصف واقع النفس والحال.
- من القلب إلى القلب.
- أهم الوصايا الموجهة إلى الإمام الحسن عليه السلام.
- تذكير بأصول الدين ولا سيما الآخرة.

الهدف: التعرف على أهم وصايا

أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام والتربي على قيمها العالية.

تصدير الموضوع:

مما قاله الإمام علي عليه السلام في وصيته لولده الإمام الحسن عليه السلام: «وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ أَخَذَ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ، وَالْإِقْتِسَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ...».

يتحدث الإمام علي في وصيته هذه عن مجموعة من الأصول والقواعد التربوية والاجتماعية، وهي موجهة للمسلمين جميعاً، وإن كان الخطاب المباشر للإمام الحسن عليه السلام، التي تصلح لتربية الفرد والمجتمع والأمة.

للحلي

١- المحور الأول: موعظة

الآخر بوصف واقع النفس والحال: مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمَقَرُّ لِلزَّمَانِ (المعترف له بالشدة)، الْمُدِيرُ الْعُمَرِ، الْمُسْتَسْلِمُ لِلدَّهْرِ، الدَّامُ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنُ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، الظَّاعِنُ عَنْهَا غَدًا، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضُ الْأَسْقَامِ (هدف الأمراض ترمي إليه سهامها)، رَهِينَةُ (المرهونة)، أَيُّ أَنَّهُ فِي قَبْضَةِ الْأَيَّامِ وَحُكْمِهَا) الْأَيَّامِ، وَزَمِيَّةٍ (ما أصابه السهم) الْمَصَائِبِ، وَعَبْدُ الدُّنْيَا، وَتَاجِرُ الْغُرُورِ، وَغَرِيمُ الْمَنَآيَا، وَأَسِيرُ الْمَوْتِ، وَخَلِيفُ الْهَمُومِ، قَرِينِ الْأَحْزَانِ...

٢- من القلب إلى القلب:...

وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئًا لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا، مُسْتَظْهِراً بِهِ (٤) إِنَّ أُنَا بَقِيْتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ.

٣- أهم الوصايا الموجهة إلى

الإمام الحسن عليه السلام:

أ - تقوى الله والارتباط الوثيق بالله: يؤكد عليه السلام على أن التقوى أحب ما يمكن الأخذ به من هذه الوصية، إلى جانب

الالتزام بسيرة أهل البيت عليه السلام والصالحين، والتقوى: «وقاية النفس من عصيان أوامر الله ونواهيه وما يمنع رضاه» وكثيراً ما عرفت بأنها «حفظ النفس حفظاً تاماً عن الوقوع في المحظورات بترك الشبهات» فقد قيل: «وَمَنْ أَخَذَ بِالشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْمُحَرَّمَاتِ وَهَلَكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ» (١).

والتقوى إن لم تكن من مدراج الكمال والمقامات، ولكنه لا يمكن بدونها بلوغ أي مقام، وذلك لأن النفس ما دامت ملوثة بالمحرمات، لا تكون داخلة في الإنسانية، ولا سالكة طريقها، وما دامت تميل إلى المشتبهات والذائد النفسية وتستطيب حلاوتها، لن تصل إلى أول مقامات الكمال الإنساني (٢). وهي ليست مجرد عمل، وإنما عمل وراء التزام وتعهّد وتحمل مسؤولية، وليست هي مجرد التزام، فقد يلتزم الإنسان بشيء تأدياً، إنما يجب أن يكون التزاماً نابعاً من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبالرسالة. قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا

(١) أصول الكافي، ج ١، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث، ح ٩.

(٢) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً.

إليه يصعد الكلم الطيب

اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا^(١).

قال ﷺ: في وصيته: فَإِنِّي أوصيك بتقوى الله - أي بُني - ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، وأي سبب أوثق من سبب بيتك وبين الله عز وجل إن أنت أخذت به! أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقومك باليقين، ونوره بالحكمة، وذلك بذكر الموت، وفقره بالفناء (اطلب منه الإقرار بالفناء)، وبصره (اجعله بصيراً) فجائع (جمع فجيعة وهي المصيبة تفرع بحلولها) الدنيا، وحذر حصوله الدهر وفحش قلب الليالي والأيام، وأعرض عليه أخبار الماضين، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين...

٢- الثبات والأمر بالمعروف قال ﷺ: وأمر بالمعروف تكُن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وبأين (أي باعد وجانب) من فعله بجهدك، وجهاد في الله حق جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وخض العقرات (الشدائد) إلى الحق حيث كان.

٣- التفقه في الدين والصبر: قال ﷺ: وتفقه في الدين، وعود نفسك الصبر على المكروه، ونعم الخلق الصبر، والحيء نفسك في الأمور كلها إلى الهك،

فإنك تلجئها إلى كهف (الملجأ) حريز (الحافظ)، ومانع عزيز.

٤- الإخلاص لله تعالى: وأخلص في المسألة لرَبِّك، فإن يده العطاء والجرمَان، وأكثر الاستخارة، وتفهم وصيتي، ولا تذهب [عنك] صفحا (جانبا)، فإن خير القول ما نفع.

٥- متى يجب أن نوصي أبائنا: أي بُني، إنني لما رأيته قد بلغت سنأ (أي وصلت النهاية من جهة السن)، ورأيتني أزداد وهناً، بادرت بوصيتي إليك... وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويستغل لبك...

٦- ماذا يجب أن نوصي أبائنا ونعلمهم: أي بُني، إنني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم... فاستخلصت لك من كل أمر نخيلته (النخيل: المختار المصفى)، وتوحيته (أي تحريته) لك جميله، وصرفت عنك مجهوله، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق...

- وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه...

- وأعلم يا بُني، أن أحب ما أنت أخذ به إلي من وصيتي تقوى الله،

- الأقتصار على ما فرضه الله عليك،

- والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك، والصالحون من أهل بيتك...

٤- خاتمة تتضمن تذكيراً بأصول الدين ولا سيما الآخرة:

- فتفهم يا بُني وصيتي، وأعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة، وأن الخالق هو المميت، وأن المميت هو المعيد، وأن المبلي هو المعافي... فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك، وليكن له تعبذك، وإليه رغبتك، ومنه شفقتك (خوفك)

- وأعلم يا بُني أن أحداً لم يبيء عن الله سبحانه كما أنبأ عنه نبيائنا ﷺ فارض به رائداً، وإلى النجاة قائداً، فإنني لم ألك نصيحة (أي لم أقصر في نصيحتك)...

- وأعلم يا بُني، أنه لو كان لرَبِّك شريك لأتتك رسله، ولرايت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه الله واحد كما وصف نفسه، لا يضاده في ملكه أحد، ولا يزول أبداً ولم يزل، أول قبل الأشياء بلا أولية، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية، عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر.